قال أتستبدلون الذي هو أدنَى بالذي هو خير، اهْبِطوا مصراً فإن لكم ما سألتم، وضُربت عليهم الذلّةُ والمَسْكنة، وباؤوا بغضب من اللّه، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللّه، ويقتلون النبيين بغيرالحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[1].

والناظر في الآية يرى أن إخبارها بضرب الذلّة والمسكنة على يهود قد سبقته الإشارة إلى حادثة في تاريخهم زمن موسى عليه السلام لها ارتباط بالذلّة والمسكنة، فقد أنعم اللّه عليهم في الصحراء بالمنّ والسلوى ـ والمنّ هو نبات طيب حلو الطعم، والسلوى هي طيور السماني ـ ولكن اليهود عافت نفوسهم هذا الطعام اللذيذ واشتاقت إلى الطعام الغليظ الخشن الذي تعوّدوه في مصر زمن ذلهم وعبوديتهم لفرعون، فقالوا لموسى: ﴿ ادْعُ لنا ربّك يُخرجْ لنا مما تنبت الأرض من بَقْلها وقِثّائها وفُومها وعدسها وبصلها ﴾ فاستغرب موسى عليه السلام هذا الطلب الذي ينم عن تمكن الذلة والعبودية في نفوس أصحابه فقال: ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنَى بالذي هو خير؟ ﴾ وأي حر كريم يرفض نعمة اللّه عليه بالطعام اللذيذ ويستبدل به الذي هو أدنى من الطعام الخشن؟ أي إنسان يرفض اللحم المشوي ويختار بدلـه الفـول والعدس والبصل؟.

والملاحظ أن هذا الطلب اليهودي الغريب يدلّ على عبوديتهم لأصناف الطعام والشراب أكثر من عبوديتهم لرب العالمين، وذلتهم أمام أصناف الطعام بحيث يدفعون مقابلها أغلى شيء، حتى ولو كان هذا الثمن هو حريتهم وحياتهم الإنسانية الكريمة، ألم يفعلوا هذا عند فرعون؟ ويتنازلوا عن حريتهم وإنسانيتهم مقابل طعامهم وشرابهم؟ لولا أن أنقذهم اللّه بموسى عليه السلام.

والتاريخ والواقع والتجارب تخبرنا عن ذلة وجبن ومسكنة من استعبدته أصناف الطعام والشراب وألوان المتاع واللباس، والرسول ﷺ يبيّن لنا مقدار

---

(١) البقرة: ٦١.